

عائد من الظلام

بقلم / أعلام النصر

قِصَّةٌ مَثَلٌ لواحدة من جرائم الصَّليب



عائد من الظلام!

- الحلقة الثامنة -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

عائد من الظلام!

- الحلقة الثامنة -

#بقلم: #أحلام-النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

#قناة-مؤسسة-أوار-الحق



ضرب "ألفرد" الطاولة بقبضة متشنجة، وهتف منفعلًا:

- والآن.. ماذا سنفعل مع كتلة الجلود تلك؟!

واستطرد وهو يحاول التغلب على إرهاقه وصداعه، والكلام بتركيز:

- لا نحاس التعذيب أفاد في إذايته، ولا المسغبة أعطت نتيجة أو فلت في عناده،
أنزلت عليه كل ما في جعبي ولا فائدة!

قال القس "جيمس":

- وأنا حاولت شراءه؛ وعدته بالعفو والمال الوفير، حتى وإن لم يصبح في جيشنا،
تنازلت معه إلى أقصى حد، وطلبتُ منه وحسب: أن يخبرني بكل ما عنده من
معلومات، ثم يترك طريقه الإرهابي، ويكمل حياته بشكل طبيعي في قصر جميل.

نظر إليه "ألفرد"، وقال بترقب:

- عرض مُغرٍ! يا لك من خبيث! وماذا كان رده؟!

زجر "جيمس" بغضب:

- لقد سخر مني!!

- كيف؟!

- تصوروا! قال لي إن المبلغ الضخم الذي ذكرته، والمسكن الفاخر، وسائر ما احتواه العرض: لا يكفي لشرائه!!!

تحفز "ألفرد" وبقية القساوسة، وسأل "مارك" مستغرباً وقد رفع حاجبيه:
- من يظن نفسه؟! كم يريد إذا؟!

قال "ألفرد":

- فليضع الرقم الذي يريده، المهم أن نتخلص من الإرهابيين، وهو لن نعجز عن قتله فيما بعد.

دمدم "جيمس" مغتاضاً:

- أنت بخيالك أقنعت الرجل، وحصلت على المعلومات، وقتلت الإرهابيين، ثم قتلتَه هو أيضاً، وكل هذا دون أن تعرف ماذا قال!!

هتف "بونبرت" بثقة:

- مهما كان طلبه؛ الكنيسة لن تمنع، المهم أن نحصل منه على ما نريد!

قال "ألفرد" بسرعة:

- والمهم كذلك أن يكون الفضل في الأمر كله لي.. أعني.. لمعسكرنا، وليس للكنيسة التي تستغل جهودي.. أقصد جهودنا دائماً؛ فلنا السّعاية، ولها الدعاية!!

قال "بونبرت" ببرود:

- إذا تجاهلنا زلّاتِ "ألفرد" ومقاصده؛ فإن فكرته تبدو مناسبة!

وتابع وهو يشير بيديه، وينظر في القساوسة جميعاً:

- معسكرنا هو استضاف السجين، وهو الذي سيستحق التكريم.

صرخ "جيمس" وقد نفذ صبره:

- هلاً سكتم قليلاً لأكمل كلامي أيها المتفائلون؟!!

قال "ألفرد" منتبهاً:

- صحيح؛ نحن حتى الآن لم نعرف طلبه.

قال "مارك":

- نعم ماذا يريد؟!

زفر "جيمس" ثم قال:

- قال بأنه باع نفسه بالفعل، وتضمّن عقد البيع حمايةً دائمة، وتكفلاً برزقه، أما الثمن فهو.. جنة عرضها السماوات والأرض!!

انتفض "ألفرد" وحظت عيناه هاتفاً:

- يا له من مجنون!! ماذا يقصد؟!!

رد "جيمس" يائساً:

- لقد باع نفسه لله كما يقول، وعلينا أن نأس من الأمر.

رفع "ألفرد" سبابته بغیظ، وصرخ:

- لم يُخلَق بعد الشخص الذي يستعصي عليّ!!

قال "جيمس" متهمّاً:

- لا أحد يشكك في قدراتك العجيبة، ولكن هذا الرجل جلهود كما وصفته أنت، إنه عنيد جداً، ليس مَرِناً على الإطلاق!

قال "بونبرت":

- أتدري ماذا قال لي حين طلبتُ منه أن نتحاور؟! لقد وافق بكل أريحية على الحوار، ولكن على مبدأ النّدّ للنّد! وراح يتخفني بدرس ديني عن ألوهية الله، وحق الإسلام في الحكم، وعن نبوة المسيح، وأن الله ليس له زوجة ولا ولد!! ومن هذا القبيل!!

وتابع بغیظ:

- قل لنا يا "ألفرد"! شخص مثل هذا كيف سنحاوره؟! نحن نريد بالحوار أن نشتریه ونحصل على ما عنده، بينما هو يناقش في الدين والعقيدة والحكم!! إنه يأخذ الأمور بجدية تامة!!

تنهد "ألفرد" ثم قال:

- في أي عصر يظن نفسه!!

قال "بونبرت" بلهجة ذات معنى:

- أنا و"جيمس" جربنا معه أسلوب الهدوء واللفظ ومحاولة الشراء كما طلبتُ؛ فماذا صنعتَ أنت و"مارك" بحربكما النفسية إياها؟!!!

قال "ألفرد" بغرور:

- "مارك" كان يساعدني، وعلى عاتقي كان القسط الأكبر والأهم، أساليب التعذيب معروفة، أما عن الحرب النفسية؛ فقد أخبرته ببعض ما أنزلناه بالمسلمين والمسلمات لأحطَمَ غروره، وأخبرته كذلك أنني أتلذذ بضربه وهو لا يستطيع حتى الدفاع عن نفسه! طلبتُ منه أن يفهم بأنه مجرد شخص بائس لا يمكنه أن يتحدى إمبراطورياتنا ومحافل جيوشنا وأسلحتنا الفتاكة، ولا جدوى أبداً من هذه البطولة الحمقاء التي يتشبث بها؛ فلا يوجد حتى جمهور يصفق له!!

قال "جيمس" باستحسان:

- هذا أوجع له من الضرب نفسه يا "ألفرد"!

غمغم "ألفرد" محاولاً كتم غيظه:

- ولكنني سأستمر في ضربه مع ذلك!!!

بينما وضع "مارك" يده على فمه ليكتم ضحكاته، فسأله القساوسة عما به، في حين رمقه "ألفرد" بتحذير، بيد أن "مارك" ما كان ليفوت فرصة كهذه؛ فقال باستمتاع:

- أساليب "ألفرد" أعجبتكم لدرجة ألا تلاحظوا أنها لم تعد علينا بالفائدة!! فهو ذا سجيننا العنيد لم يُفدنا بشيء برغم أنف كل ما صنعه "ألفرد"!

قال "جيمس" منتبهاً:

- نعم صحيح! فعلاً فاتنا ذلك!!

وأوماً البقية برؤوسهم موافقين، فتابع "مارك":

- ولم تسألوا عن ردة فعله أيضاً!

صرخ "ألفرد":

- "مارك"!!

لكن صراخه شوق القساوسة، وناسبَ هذا "مارك" كثيراً الذي قال مستمتعاً:

- لقد زجر السجين بغضب أولاً، وثرثر كثيراً أنه وكل الإرهابيين سينتقمون لمعاناة المسلمين، وقال بأن جهادهم جعلنا ندفع شيئاً من الثمن ونعاني بعد أن كانت المعاناة حكراً على المسلمين، يا له من مستفز! وبعدها قال بأنه لا يريد التصفيق من أحد، ولا يهمله سوى أن يرضي ربه، كما أنه.. هههه.. سخر من "ألفرد"، ووصفه بالدجاجة الجبانة، وقال له بأنه لو كان رجلاً لواجهه ولم يقيده، ولو أطلقه لما ثبت أمامه لحظة فضلاً عن أن يتمكن من ضربه، ثم.. ثم بصق في وجهه.. هههه.

كان "ألفرد" محمراً الوجهه غاضباً، عاجزاً عن إسكات "مارك"، بينما كان القساوسة شامتين به ضاحكين عليه، وقال "مارك" بلهجة تمثيلية ساخرة:

- طبعاً لم يعجبني كلامه بالرغم أنه حطّم زميلنا المغرور؛ فلکّمته على وجهه ثأراً لصديقي العزيز "ألفرد"!

ضحك القساوسة مجدداً، بينما تنح "ألفرد" وقال ليستعيد ماء وجهه المراق:

- الإرهابيون معروفون بأسلوبهم وعنادهم، وعلى الأقل تمت إهانتني من شاب إرهابي يبدو مخضرمًا، وليس من شيء خاص تافه يُفترض أنني ربيته على طاعتي يا "مارك"!!

اختفت ابتسامة "مارك"، وشحب وجهه، ثم ازدرد ريقه وقال:

- هل نحن مجتمعون الآن لناقش كيف سنتعامل مع السجين؟! أم ليسخر بعضنا من بعض؟!

قال "ألفرد" متخصّراً:

- لدي نفس الفضول الذي يدفعني لطرح السؤال ذاته!

قال "بونبرت" منزجاً:

- كفّ عن الاستعراض إذا يا "ألفرد"! جميعنا بذلنا قصارى جهدنا، وجميعنا فشلنا كذلك!

قال "ألفرد" متجاهلاً:

- فليستدع أحدكم "ألبرت"!

زفر "بونبرت" بيأس، وحرّك "جيمس" كتفيه بقلة حيلة؛ إذ يبدو أن "ألفرد" لن يتغير؛ فهو إما ناجح مستكبر، وإما فاشل مكابر!! ولماذا يريد القساوسة منه أن يتغير؟! لتتاح لهم الفرصة ليصنعوا مثله طبعاً إن لم يصنعوا أكثر!

وجاء "ألبرت" مهرولاً بعد أن استدعاه قس لم يشارك في الحوار، ونكّس "ألبرت" رأسه كالعادة مرتبكاً؛ فدمدم "ألفرد":

- ما أخبار سجيننا يا "ألبرت"؟!

أجاب "ألبرت" متلعثماً:

- حاله لا تسرّكم يا سيدي!

قال "ألفرد" متهكماً:

- وهل إذا أثر عليه التعذيب والجوع سأنزّع؟!

وتابع بحقد:

- بل سأنتشي كثيراً! والمهم عندي أن تتحطم روحه المعنوية، ويصبح أداة في يدي!!

قال "ألبرت" دون أن يرفع رأسه:

- لهذا قلت إن حاله لا تسرّكم.

- ماذا تقصد أيها المغفل!!؟

- إنه.. إنه لا يكاد يتوقف عن الصلاة وقراءة القرآن!! وروحه المعنوية عالية جداً!

صرخ "ألفرد":

- ألم آمركم ألا تفكوا وثاقه أبداً بعد وقاحته الأخيرة!!؟ كيف يصلي إذا!!؟

أجاب "ألبرت" محتاراً:

- حتى أنا لا أعرف يا سيدي! إنه يصلي على حاله!! ولا يتوقف عن المهمة!!

ردد "ألفرد" مندهشاً:

- يصلي على حاله!! غريب!

وعاد وقال غاضباً:

- طلبتُ ألا تقدموا له الماء أبداً!

تنهد "ألبرت"، وقال:

- إنه يتسلى بنا يا سيدي! حتى حين كان طليقَ اليدين لم يكن يعبأ بنا ونحن نخبره بأنه محروم من الماء! كان يضرب الجدار بيديه ويمسحهما ويمسح وجهه، ويصلي!!

اندهش القساوسة جميعاً وتبادلوا النظرات، بينما قال "ألفرد" محتاراً:

- حقاً أنا لا أفهم هذا المجنون!!

وسكت قليلاً ثم تابع:

- كيف يكون محروماً من الطعام وما تزال لديه طاقة للصلاة؟!

ورفع سبابته في وجه "ألبرت" محدّراً:

- حذار من الخيانة يا "ألبرت"! هذا عدونا!! لعلّ أحد الأحمقين يطعمه سرّاً؟!!

تلعثم "ألبرت" ثم قال وهو يحاول إخفاء ابتسامته:

- إطلاقاً يا سيدي! بل حتى حين كانت الوجبة متاحة له: كانا يسرقان منها رغم رداءتها!!

وتابع مبتسماً:

- صحيح أنهما أحمقان، غير أنهما خنزيران متوحشان، لا سيما إن تعلق الأمر بالطعام يا سيدي!

كان "ألفرد" يصغي مشمئزاً، بينما همس له "مارك" مشاكساً:

- سيجان يسرق طعام السجن الرديء! يا للفساد والفشل في إدارتك!

رد "ألفرد" من بين أسنانه هامساً:

- اخرس الآن! بيننا حساب طويل فيما بعد!! ثم إنه مجرد سجين مسلم، فلا بأس أبداً!!

ثم ركز على "ألبرت" وقال له:

- أخبره بوضوح أن الصلاة ممنوعة.

نكس "ألبرت" رأسه قائلاً:

- لقد اجتهدتُ وأخبرته بذلك من تلقاء نفسي؛ فقال إن الله فرضها من فوق سبع سماوات، ولن تكون ممنوعة لمجرد أن يطلب ذلك صليبيُّ مثلي!

رمقه "الفرد" باستعلاء، وقال:

- هذا فقط؟! ألم يصفك بأي وصف؟!!

احمر وجه "ألبرت" ولم يتكلم، فتنهد "الفرد" وقال:

- يبدو أننا سنتعب أكثر مما كنت أظن.

وسكت مفكراً، ثم قال:

- تولّ ضربه يا "ألبرت"، وشدّد على "ستيف" و"باندرا" ليضيّقا عليه، إذا كانت الصلاة تريّحه فسأحرّمه منها!! سأجعله يتوسل كي يموت!!

أوماً "ألبرت" برأسه، ثم استأذن بالانصراف، وانفض الجمع على موعد اجتماع لاحق لإكمال المناقشة، وزفر "الفرد" بعمق متمتماً:

- لم أواجه شخصاً بهذا العناد من قبل!

تدخل "مارك" الذي سمعه، وقال ساخراً:

- إنه محض جندي، فكيف لو واجهتَ أميره مثلاً؟!!

اكفهر وجه "ألفرد"، بينما ربتَ "مارك" على كتفه ساخرًا كما كان "ألفرد" يصنع به من قبل، وقال:

- لا تعطِ نفسك ما يفوق حجمها يا "ألفرد"! فالثوب الكبير على الجسد الضئيل يثير السخرية لا الإعجاب!

صرخ "ألفرد" مزيجًا يد "مارك" عن كتفه:
- دعني وشأني يا "مارك"!

واستعاد غروره، وتابع بثقة وهو يلتفت لمواجهته، ويشير بسبابته:
- ليس عليك أن تقلق بشأني أبدًا؛ فأنا الخياط ذاته!

وتابع عابسًا:
- حلّ مشكلاتك قبل أن تحاول منافستي!!

لكن "مارك" رمقه بازدراء، ثم انصرف، بينما كاد "ألفرد" يتميّز غيظًا.

طوت الأيامُ مسافةً جيدةً من الزمن، وتعاقب الليل والنهار والشمس والقمر، وأعلن المعسكر استعدادَه لاستقبال مسؤول الكنيسة بعد ظهر يوم الغد.

كان "مارك" شبهً ملازمٍ لشيئه الخالص "مادو"، يؤكد عليه ألا يخذله، وأن يفِي بوعده، ولم يعرضه لأية تجربة خشية انتكاسه، وكان "مادو" لا يَنِي يحبيه بكل ثقة:

- لا تقلق يا سيدي.

وفي الليلة الموعودة، تأخر "مادو" في النوم خشية أن يزوره الكابوس، ثم نام حين غلبه النعاس، كانت المرأة تهتف بوضوح:

- "محمد!" "محمد!"

واستيقظ "مادو" بسرعة، ثم تنهد وقال بصوت مسموع:

- أنا لا أعرفك، ولا أعرف هذا الـ "محمد" أيضاً، ولا كيف أصل إليه! إنني عاجز عن مساعدتك؛ فدعيني وشأني إن كنتِ تسمعينني.

وتنهد ثانية وتابع:

- ما أعرفه فعلاً: هو أنني "مادو"، الشيء الخاص للقس "مارك"، كما أعرف
مسألة أخرى: أنني تعبْتُ كثيراً من كل ما جرى معي؛ فلن أُلقي له أي بال.

وعاد إلى النوم، وحين استيقظ ثانية في الصباح؛ لم يكن يشكو من أي كابوس!
ولكن.. وعلى خلاف توقعاته: لم يكن يشعر بالراحة أبداً، بل كان صدره منقبضاً؛
كأنما أطبقت عليه الجبال!!

انتهت الحلقة الثامنة

...يتبع

